تجربة علماء الأندلس في نقدهم للشعر

د. حليمة بلوافي

المركز الجامعي بلحاج بوشعيب – عين تموشنت

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2019/04/07	2019/04/24	2020/06/05

ملخص البحث

إن النقد اللغوي في الأندلس قد اتخذ مناحٍ متميزة ،إذ ظهرت علوم اللغة وتفرعت مسائلها ،واقتحم علماء اللغة مجال النقد الأدبي ،وتأسست مدارس عرفت بروادها من علماء اللغة .يقول مصطفى العليان في ذلك" نشطت الحركة اللغوية في الأندلس نشاطا ملحوظا في القرن الخامس الهجري بفعل عوامل متعددة ،وكان النحو أحد الفروع اللغوية التي تكثفت جهود الأندلس فيها ."[1]فالنحو سيكون له شأن كبير في نشاط الحركة النقدية اللغوية ،إذ مال الأندلسيون إلى استعذاب الشعر المحدث ،وقلد بعض شعرائهم ما كان يفد عليهم من شعر المشارقة المحدثين كأبي تمام والبحتري وابن الرومي ،والتمس نقاد الأندلس جوازات للشعراء في لغتهم المحدثة . يقول إحسان عباس وهو يقف على البدايات الأولى للذوق النقدي الأندلسي :"تربى النقد الأندلسي مدة طويلة على الشعر المحدث ،شعر أبي تمام والبحتري وابن الرومي وابن المعتز وأبي العتاهية "[2].

Résumé

La critique linguistique en Andalousie a pris une place distincte, au fur et à mesure que les sciences du langage ont émergé et que leurs questions ont été soulevées. Les spécialistes des langues ont pénétré le domaine de la critique littéraire et des écoles ont été créées, dont les dirigeants sont connus sous le nom de linguistes. "Le mouvement linguistique en Andalousie était actif au Ve siècle. De nombreux facteurs, et était l'une des branches linguistiques qui ont intensifié les efforts de l'Andalousie. " Les Andalous cherchaient à attirer la poésie moderne et certains de leurs poètes ont été privés de la poésie moderne des modernistes tels que Abi Tammam, Al-Bahtari et Ibn Al-Roumi,

tandis que les critiques de l'Andalousie cherchaient les passeports des poètes dans leur nouvelle langue. Selon Ihsan Abbas, au début de l'argent andalou: "La critique andalouse a longtemps été soulevée à propos de la poésie moderne, de la poésie d'Abou Tammam et al-Bahtri et d'Ibn al-Roumi et d'Ibn al-Mu'taz et d'Abou al-Atiyah

تقديم:

لم يعرف الأندلسيون ذلك الصراع الذي احتدم في المشرق بين أنصار الشعر القديم وأنصار الشعر المحدث ،وإنما كانوا أميل إلى الشعر المحدث لأنهم لم يعرفوا غيره ،حتى تم نقل التراث الشعري المشرقي ،وتبين للأندلسيين أن هناك شعرا قديما هو أصل الشعر العربي ،بل هو مصدر التعبير اللغوي الفني .فقد" ظل الذوق الأندلسي مأخوذا بالشعر المحدث حتى دخل القالي إلى قرطبة سنة 330هـ جالبا معه دواوين الجاهليين والإسلاميين ،مقروءة مصححة على الأئمة ،وأخذ الطلاب يتتلمذون عليه في دراستها ،فوُجِد نهج القدامى ونهج المحدثين ،وعاشا معا جنبا إلى جنب ،ولكن الذوق العام كان أميل إلى الاتجاه المحدث "[3]وقد قاد حركة النقد اللغوي الأندلسي مدرستان :المدرسة التعليمية والمدرسة التقويمية ،ويتصدر المدرسة الأولى المؤدبون وهم جمهور العلماء الذين كانوا يعلِّمون الناس في حلقات الدرس علوم اللغة والبلاغة والنحو والصرف والعروض ،ويقوم على المدرسة الثانية جمهور الأدباء من الشعراء ومحترفي الأدب ،فإذا كان نقد المدرسة الثانية مستساغا لدى علماء الشعر ،فإن نقد المدرسة الأولى كان غير محبذ به ،وهي نظرة تعد امتدادا لنظرة المشارقة في بداية العصر العباسي الأول يقول مصطفى العليان :" و ربما كان في هذه الملاحظات النقدية المتبقية من التراث الأندلسي المشتت ما يؤكد توزع النقد الأدبي في دائرتين :إحداهما دائرة النقد التعليمي وثانيتهما دائرة النقد التقويمي ."[4] وقد دارت مناقشات بين علماء الشعر والأدباء، حول ما كان يقع فيه الشعراء من لحون في التعبير ،إذ كانت للملاحظات التي كان يبديها اللغويون الأثر الواضح في استحسان القول الأدبي أو استهجانه إذ" يحكى أن عباس ابن ناصح وفد على قرطبة وأسمع الشعراء قصيدة له ،ولما ورد في تلك القصيدة البيت الذي يقول فيه :

تجافَ عن الدنيا فما لمُعَجِّزِ ولا عاجزِ إلا الذي خط بالقلمِ

قال له يحيى الغزال ،وكان شاعرا صغيرا آنذاك ،:أيها الشيخ وما يصنع مفَعَلٌ مع فاعلٍ.

فقال له ابن ناصح : وكيف تقول أنت ؟ فقال أقول :

تجافَ عن الدنيا فليس لعاجزِ ولا حازمٍ إلا الذي خُطَّ بالقلمِ

فقال له عباس : والله يابني لقد طلبها عمك فما وجدها ."[5]

فالرافد النحوي في النقد الأندلسي قد أسس للنظر اللغوي للنص ،إذ طغى استعمال اللغويون للمعايير النحوية بشكل ملفت للانتباه مما يوحي بتطور منهجي لمدارسة علوم النحو ،خاصة إذا علمنا أن حلقات الدرس والتعليم، كان يشرف عليها علماء سموا بالمؤدبين كان لهم النصيب الأوفر في الحركة النقدية اللغوية في الأندلس ."يروى عن قاضي القضاة منذر بن سعيد البلوطي إذ يقول :"أتيت أبن النحاس في مجلسه فألفيته يملي في أخبار الشعراء

شعر قيس بن معاذ المجنون حيث يقول :

خليليَّ هل بالشام عينٌ حزينةٌ تُبَكِّي على نجدٍ لعلي أعينها

قد أسلمها الباكون إلا حمامةٌ مطوقةً باتتْ وبات قرينها

تُجاذبها أخرى على خيزرانة يكاد يُدانيها من الأرض لينهَا

فلما بلغ هذا الموضع قلت :باتا يفعلان ماذا أعزَّك الله ؟فقال لي :وكيف تقول أنت يا أندلسي ؟قلت :بان وبان قرينها ، فسكت."[6]

فالحذف الذي طال التعبير الشعري في الشواهد السابقة، قد استرعى انتباه الناقد اللغوي منذر بن سعيد، وله علاقة بموضوع نحوي ،فكلام الشاعر أخل بالقاعدة النحوية ،ولذا انتبه الناقد مستغربا ومعقبا :يفعلان ماذا ؟!

وقد انفرد النقد اللغوي الأندلسي بخصائص ومميزات يمكن أن نجملها في الدقة والضبط وتحري الصحة في التعبير بما يوافق الذوق ،ولا ينبو عن المعايير النحوية " ومن مظاهر هذه النزعة أيضا تلك الحركة اللغوية الأندلسية المضادة للمشرق والتي اعتمدت الدقة والضبط والتحري في توثيق الشعر ، وليس بغريب أن يكون القالي أحد أهداف هذه الحركة اللغوية ."[7]وذلك أن هذا العالم قد تأثر بالنقد المشرقي ،بل وأراد أن يؤصل لمنهج في النظر النقدي أساسه السرقات الشعرية ،وتأثر به غير قليل من النقاد والأدباء حتى عرف بمدرسته التي سميت باسمه،خاصة في ما دونه في كتابه الأمالي " وقد أثمرت جهود القالي النقدية في تنشئة تلامذة وأشياعٍ ظلوا أوفياء لمذهبه مثل الزبيدي الذي يعد الحلقة الوسطى بينه وبين أتباعه من نقدة القرن الخامس الهجري الذين منهم الأعلم الشنتمري و الافليلي والبكري وعاصم بن السيد ."[8]

ورغم ما عرفته الحركة النقدية اللغوية في الأندلس من تنازع منهجي ،طرفاه القديم والمحدث من النصوص ،شأنه في ذلك شأن النقد في المشرق ،فإن التمييز بين المستوى الشكلي للبيت الشعري ومستواه الفني ،يذكر بالمنحى نفسه الذي عرفه النقد المشرقي في بدايات تأسيسه فيما يخص النصوص التي رُفضت لغويا وقُبلت فنيا.ينقل ابن عبد ربه في "عقده"هذا الشاهد الذي علق على ما فيه من لحن فيقول :

" قال العتابي يصف فرسا في مجلس الرشيد :

كأن أذنيهِ إذا تشوَّفا قادمةً أو قلما محرّفا

الذي لحن فيه ولم يهتد إلى إصلاحه إلا الرشيد بقوله "تخال أذنية إذا تشوفا" فيقول ابن عبد ربه :"والراجز وإن كان لحن فإنه أصاب التشبيه . "[9]

وإصابة التشبيه تعني تحقق القيمة الفنية للمقول الشعري رغم ما فيه من لحن .وسيتسع المجال النقدي أكبر حينما تتوافر بين يدي علماء الأدب نصوص كثيرة ،إذ سيتعرفون حينئذ على نماذج جديدة من الأنساق التعبيرية ،وسينمو عندهم الوعي اللغوي في شمولية أبوابه خاصة ما تعلق منه بالبلاغة في تمظهراتها المتعددة .وبالمقابل فلقد اطلع علماء الأندلس على ما توافر في البيئة النقدية المشرقية ،فألفوه زاخرا بالقضايا الأدبية التي بحثوها وناقشوا دقائقها

،وبسطوا القول في أصنافها من سرقات شعرية ،وموازنات أدبية ،ومفاضلات نصية يقول إحسان عباس :" ولم يستطع النقد الأدبي في الأندلس قبل القرن الخامس أن يرتفع إلى مستوى المشكلات الكبرى التي دارت في النقد المشرقي من حديث عن الطبع والصنعة واللفظ والمعنى والنظم ، والصدق والكذب وما أشبه ،بل ظل بسيطا في مجالي المستوى والتطبيق ، لا ينفك عن التمرس ببعض الأخطاء النحوية .."[10] إلا أن ما يميز النقد الأندلسي هو اهتمامه بالشكل اللغوي في كل مستوياته التعبيرية لفظا معجميا ،ونسقا تعبيريا ،وأسلوبا بلاغيا ،وسياقا تركيبيا ،وقد أبان أولئك العلماء عن تمرس كبير بأدوات النقد اللغوي ،وحصافة نظر دقيقة لكل جوانب المقول الأدبي "وقد دلل هؤلاء اللغويون والنحاة على إحاطة ووعي بالأدب ،خاصة لغة الشعر من حيث اللفظ في بنائه وأحواله ،واتساقه في النسيج اللغوي ،والتركيب ومسايرته للقاعدة النحوية ،ومسالمته لها ." [11] و ما كان للنقد اللغوي الأندلسي أن يرتقي لمرتبة النظر الفني ، لولا ما حازه المؤدبون من علم تطبيقي ، أجروا فيه القواعد النحوية والبلاغية مجرى الممارسة العملية ،وقد تناقل التلامذة ذلك المنهج العملي ،وصار له حضور في كل المناقشات التي تتناول النص الأدبي شعرا ونثرا .يقول أحد الباحثين" وغاية ما يقال في نقد المؤدبين اللغوي أنه نقد مصادف لما وعاه المؤدب من قواعد نحوية ،وما حصله من دراسات لغوية وبلاغية ،فهو نقد عملي تطبيقي ،يجعل جل همه البيت ،بل والتركيب اللغوي للعبارة ."[12] وستعرف الساحة الأدبية الأندلسية نشاطا متزايدا بما سيضعه علماء اللغة من مصنفات شارحة لعلوم العربية ،وستغدو تلك المصنفات مراجع أساسية لعلماء الشعر والنثر ،كما سيتم نقل كتب اليونان في نقد الشعر خاصة ما تعلق منها بفن البلاغة التي سيبرع فيها حازم القرطاجني بما سيؤسسه من مقولات جديدة .

لقد أسهمت مدرسة القالي إسهاما متميزا في وصل المغرب بالمشرق أدبيا وعلميا ،وقد بذل أبو علي القالي جهودا علمية كبيرة في تدوين نصوص المشرق العربي سواء القديمة منها مثل أشعار الفحول أو المحدثة منها خاصة في العصر العباسي الأول ،وقد تتلمذ على هذه المدرسة لفيف من الأدباء واللغويين سيكون لهم دور رائد في توثيق الروايات ونقد النصوص ،ذلك أن الحركة الأدبية التي نشأت في بدايات العصر الأندلسي قد وازتها حركة نقدية ذات منحى لغوي خاص. يقول أحد الباحثين وهو يرصد تلك الحركة الأدبية الناشئة :"و مقابل هذه الحركة النقدية في المشرق العربي نشأت حركة نقدية في الأندلس ، لوجود المادة التي تصلح لعملية النقد ؛ ألا وهي كثرة الإنتاج الأدبي ، فقد عُرفت تلك البيئة بإنجابها الكثير من الشعراء . ولكن النقد لم يبرز بوصفه علماً من العلوم الأدبية ، له اتجاهاته الخاصة ومناهجه المرسومة ، وله رجاله المعنيون به إلا بعد أن أخذت الأندلس تستقر أمنياً ." [13]وقد حمل لواء تلك النهضة الأدبية والنقدية "طبقة من المؤدبين الذين ارتحل أكثرهم إلى المشرق واغترفوا مما فيه من علم وأدب وعادوا يدرِّسون ما حملوا في جامع قرطبة وهي يومئذ المركز الثقافي للأندلس عامة "[14]. ويشير غيرُ قليلٍ من مؤرخي الأدب الأندلسي، أن الحركة الأدبية الأندلسية أفادت من النقد الأدبي المشرقي بكل اتجاهاته وتياراته بالقدر الذي أفادت من الأدب بكل أنواعه وأصنافه ، ولذلك لا نرتاب أنه " إذا كان الأدب الأندلسي في بداياته قد اعتمد على أدب أهل المشرق ،فإن النقد في أولياته قد أفاد من تلك الاتجاهات النقدية التي

كانت قائمة في المشرق."[15]وقد تلون النقد المغربي بألوان خاصة طبعها النزوع نحو التأسيس البلاغي ،والاهتمام بشكل المقول الأدبي ،ومال اللغويون في الأندلس إلى مزج الدرس البلاغي بالتناول النقدي للنصوص ،ولم تكن قد تأسست بعد مناهج النظر النقدي ،كما لم تتضح معالم المصطلحات النقدية .يقول محمد مرتاض في ذلك :"ليس من غرائب الأشياء ولا من الشّذوذ في الرأي أن نعثر في نقد هؤلاء المغاربة على المزج بين البلاغة والنقد، لأنّ المناهج النقديّة لم تكن قد تبلورت بعد، ولم تكن المصطلحات التي عرفتها العصور المتأخرّة بالجة المعالم، بادية للعيان... لأنّ الذين عنوا بقضايا النقد الأدبيّ إنّما تناولوها ممتزجة مع أصولها وأسسها، وتحدثوا عنها حديث المتعمّق في مكوّنات بنائها وطبيعة تركيبها، فقد تركّزت مفاهيمهم النقديّة على ما كان متداولاً قبلهم، إذ أنّ الذين سبقوهم عُنُوا في أحكامهم تلك بطبيعة وأنساق هذا المزج بصورة عامة، بل إن كثيراً منهم بنى منهج حكمه النقديّ على تأثرّه الواضح بالبلاغة."[16] وصار إبراز الجوانب البلاغية للقول الأدبي ،وتجريد مفاهيم عامة تخص البلاغة في علاقتها بالنحو مسعى نقاد الأندلس في البدايات الأولى للحركة النقدية .يقول ابن بسام الأندلسي في ذلك : "وكما تختار مليح اللفظ ، ورشيق الكلام ، فكذلك يجب أن تختار مليح النحو وفصيح الغريب ، وتهرب من قبيحه "[17] بل صار النظر إلى فصاحة القول يكتسي طابعا جديدا ،إذ لم تعد "غرابة اللفظ " بقادحة في بلاغة القول ،بل إن "تغريب " اللفظ قد يأتي منه رونق القول ونصاعته حتى أن"وضع اللفظة الغريبة في موضعها بحيث لو وضعت مكانها كلمة مألوفة لتطرق إلى المعاني شيء من الإخلال "[18].وستعرف الحركة النقدية الأندلسية أعلاما بارزين ،استفادوا من ذلك التراكم المعرفي الأدبي والنقدي الذي توافر بين أيدي المتعلمين من أدباء الأندلس وعلمائها ،وكان بفضل حركة النقل والتفسير والشرح التي مست التراث الأدبي والنقدي المشرقي ،ومن أوائل النقاد الأدباء الذين برزوا في مجال النقد اللغوي الأندلسي ابن شهيد (ت426)فهو "أول أندلسي يتجه إلى التأليف في النقد ، ويحدد الأسس التي سار عليها الشعر الأندلسي ، ويهتدي إلى نظرات جديدة،ويحاول أن يضع للنقد مصطلحات من عنده "[19] وقد نوه غير قليل من الأدباء بجهود ابن شهيد النقدية ، ذلك أنه قد رسم نهجا أندلسيا خاصا في تناوله لقضايا نقدية ، امتاز به عن النقد المشرقي ،فهو الشاعر الذي خبر أساليب القول البليغ ،وقد عد إحسان عباس إسهامات ابن شهيد النقدية من أبرز الإسهامات في تاريخ النقد العربي القديم .يقول في ذلك :"أراء ابن شُهيد النقدية – معظمها إن لم نقل كلها – صادرة عن وعي ورأي تجريبي لا رأي نظري"[20].

ومن التأثر الذي أحدثه نقل التراث المشرقي– الشعري منه على الخصوص – تلك المعارضات التي بدأت تعرف رواجا لها في بدايات العصر الأدبي الأندلسي ، من ذلك ما رصده ابن شهيد في كتابه " التوابع والزوابع "حيث ينقل حوارا دار بينه وبين شاعر أندلسي يقال له "فاتك بن الصقعب ".يقول ابن شهيد مخاطبا فاتكا :" أعطنا كلاما يرعى تلاع الفصاحة ،ويستحم بماء العذوبة والبراعة ، شديد الأسر ، جيد النظام ، وضعْه على أيّ معنى شئت .قلت :كأي كلام ؟قال : كلام أبي الطيب .

أَأَخلعُ المجد عن كتفي وأطلُبُهُ وأترُكُ الغَيْثَ في غمْدي وأَنْتَجِعُ [21]

وقد نوه بطرس البستاني بفضل ابن شهيد في حركة النقد الأندلسي ،خاصة وأنه خصص كتابه الخيالي التوابع والزوابع للحديث عن جملة من القضايا النقدية تخص الفصاحة والبلاغة وخصائص اللفظ وبنية النص، واستحضر الأدباء والشعراء الأقدمين والمحدثين ،وأبان لهم عن قدرته الأدبية وذائقته النقدية ،ليشهد له الجميع بتفوقه وعلو شأنه الأدبي .يقول بطرس البستاني في ذلك : "إن النقد لم يرتفع له شأن إلا عند أبي عامر بن شُهيد حتى أنه فاق نقد المشرقيين في بعض نواحيه، لأنه سلك طريقاً في كتابه التوابع والزوابع لم يسلكه واحدٌ منهم"[22]،

وبدأ الذوق الأدبي الأندلسي ينفرد بمميزات خاصة ،كما أقبل المتأدبون والعلماء على حلقات العلم يناقشون مسائل عامة تخص الأدب واللغة ،وانتقلت تلك المشاحنات المشرقية التي دارت بين علماء الأدب واللغويين إلى الأندلس ، بل إنك واجد في علماء اللغة الأندلسيين من فضل المذهب البصري بينما آثر آخرون المذهب الكوفي .واستحضر ابن سنان الخفاجي(ت466هـ) قوانين الفصاحة كما تبدت في شعر الفحول ,وأسس تلك القوانين على مبدأ "التبليغ" فكل كلام بليغ هو فصيح وليس كل كلام فصيح بليغ [23].ومن البلاغة أن يجري الكلام مجرى النحو ،فلا يقع في لحن أو يخرج عن قياس ،كما أن صناعة الشعر تتطلب إلمام الشاعر بأدوات تلك الصناعة ومن جملة أدواتها علوم اللغة ،وفي هذا المجال راجع علماء الأندلس ما جاءهم من المشرق من تراث شعري ،وقدموا حوله ملاحظات لغوية جديدة ،من ذلك قراءة ابن السيد البطليوسي(ت512هـ) لشعر أبي العلاء المعري ،حيث وصف لغته " باللغة النادرة " وهي لغة لا تجري على قياس .جاء في شعر أبي العلاء المعري قوله :

وما سلبَتْنا العزَّ قطٌّ قبيلةٌ ولا باتَ منا فيهم أُسَراءُ

فقال ابن السيد البطليوسي ناقدا ومعملا المعايير الصرفية :" فأسَراءُ من الجموع النادرة ،لأن فعيلا إنما يجمع فُعلاء إذا كان في تأويل فاعل ،فإذا كان في تأويل مفعول فبابه أن يجمَع على فعلى ،فلما كان أسير في تأويل مأسور ،كان قياسه أسرى ،ومجاز قولهم أسراء .يقولون استأسر الرجل .فيجعلونه فاعلا بمطاوعته لأسرة ،ويقولون فيما لم يسمَّ فاعله كذلك جاز أن يجمع جمعه ."[24]وقد يلجأ اللغوي الناقد إلى التأويل ،والتماس تخريجات أسلوبية لشواهد شعرية ،خاصة إذا ما كانت تلك الشواهد لشاعر ذائع الصيت كأبي الطيب المتنبي ،ويتخذ اللغوي الأندلسي تلك الشواهد لإبراز جوانب من أسرار اللغة في التعبير ،وتقديم لمحات من العلم الذي تنتمي إليه تلك الملاحظات .يتناول ابن سيده الأندلسي (ت 458)شاهدا شعريا للمتنبي ،يمارس من خلاله فعل التأويل ،لإعطاء الشاهد مشروعيته الفنية إذ يقول المتنبي : "

إذا سايرَتْهُ وبانها وشانته في عين البصير وزانها

يعلق ابن سيده متبعا المنهج اللغوي في التأويل فيقول :" باينته أي من البون :أي باعدته ،فإن قلت ينبغي على ذلك (باونته) لأنه من الواو ،فإن شئت قلت :إن هذا على المعاقبة ،ومعناها قلب الواو ياء لغير علة إلا طلب الخفة ،وهي لغة حجازية غريبة ،يقولون :صياغ في صُواغ ،ومياثق في مواثقٌ ..وإن شئت قلت :من البين الذي هو في معنى البون .حكى أبو عبيدة :بينهما بوْنٌ بعيد وبيْنٌ .وقد بان صاحبه بيونه وبينه ،فحملُك إياه على هذا خير من اعتقاد المعاقبة الحجازية ،لأنك إنما تلوذ بها إذا لم تجد عنها معدلاً ."[25]

وهذه إشارة دقيقة إلى ضرورة أن يبتعد الأسلوب الشعري عن فتح المعنى على التأويل لقصور في التعبير ،أو لعدم احترام سنن العربية في الإنشاء " والملاحظ أن نقاد الأندلس يأخذون بالتأويل للألفاظ النادرة الاستعمال ،ما وسعه السبيل إلى ذلك ،ويحكمون بالندرة وغرابة اللفظ حين لا يجدون منفكا عن ذلك ."[26] بل إن الناقد اللغوي ، قد يلجأ إلى رأب تصدع الشاهد الشعري على المستوى التركيبي ،وذلك باجتهاد في إضافة مفردة أو تغييرها أو حذفها ولم يتوان نقاد الأندلس اللغويون من تناول شعر الفحول من شعراء الجاهلية والوقوف على ما فيه من شذوذ في التعبير .يتناول الأعلم الشنتمري (ت476هـ)بيتا لزهير بن أبي سلمى جاء فيه :

لها متاعٌ وأعوانٌ غدون به قِتْبٌ وغَرْبٌ إذا ما أفرغ انسحقا

فقال الأعلم الشنتمري معقبا على ما في البيت الشعري من الشذوذ :"وأراد جماعات الأعوان ،ولو أمكنه أن يقول غدوا على لفظ الأعوان،لكان أحسن ".[27] هذا التعقيب التصحيحي، ينم عن وعي دقيق بضرورة أن تكون العناية بصحة التركيب أول ما يجب أن يهتم له الشاعر ،بحيث يؤدي معه إلى التعبير عن المعنى في صورته القصوى .وسيبقى المعيار اللغوي هو المحدد للحمولة الدلالية للمقول الأدبي في النقد الأندلسي ، وقد تناول السيد البطليوسي شطرا من شاهد شعري جاء فيه : إن ديّموا أجادوا وإن جادوا وبلْ .

فنعت استعمال الصيغة " دَيَّمُوا" بأنها "شذوذ وخروج عن النظائر ،وذلك أن الديمة أصل الياء فيها واو لأنها مشتقة من الدوام ،ولكن الواو لما سكنت وانكسر ما قبلها قلبت ياء ،فكان ينبغي حين ذهبت الكسرة الموجبة لانقلاب الواو أن ترجع إلى أصلها فيقول : دوموا ...ولكن هذا من البدل الذي يلتزمونه مع ذهاب العلة الموجبة له،وقد جاءت من ذلك ألفاظ تحفظ ولا يقاس عليها كقولهم عيد وأعياد ،وريح وأرياح في لغة بني أسد وغيرهم يقول :أرواح.[28]

كما تشعبت قضايا النقد اللغوي في العصر الأندلسي ،وطرق النقاد مستوى الصيغة المعجمية من حيث الغرابة ،وربطها أولئك بالبيئة المنتجة للشعر ،فاللفظ الغريب محبذ في بيئته إذا ابتعد عن الركاكة والإسفاف ،وفي هذا المجال بحث ابن رشيق القيرواني (456هـ) قضية الشعر المحدث وربطها بمفهوم الغرابة في التعبير ،فكما أنه لا عجب أن يكون شعر القدامى غريبا في معجمه ،فكذلك لا غرابة في أن يكون شعر المحدثين مألوفا سهلا .يقول ابن رشيق : " ولم يتقدم امرؤ القيس والنابغة والأعشى إلا بحلاوة الكلام وطلاوته ، مع البعد من السخف والركاكة ،على أنهم لو أغربوا لكان ذلك محمولا عنهم ،إذ هو طبع من طباعهم ، والمولد المحدث –على هذا– إذا صح كان لصاحبه الفضل البين لحسن الإتباع ومعرفة الصواب ، مع أنه أرق حوكا وأحسن ديباجة ."[29]

وقد وضع لغويو الأندلس ضوابط نقدية بها يعرف صحيح القول الأدبي من فاسده من ذلك : صحة المعنى والابتعاد عن الحشو ،وبلاغة المعنى ومنها كذلك الالتزام بالمعيار النحوي ،إذ كان نقاد الأندلس يميلون إلى ترجيح أقوال علماء مدرسة البصرة النحوية ،ففي تناوله للبيت الشعري الذي يقول فيه صاحبه :

فتولوا فاترا مشيُهم كروايا الطبع همّت بالوحل

يعلق البطليويسي على هذا البيت فيقول :" فالوجه فيه أن يكون المراد ب (الروايا) الإبل و(بالطبع) المزاد المطبوعة التي ملئت ، فيكون الطبع صفة لموصوف محذوف كأنه قال :كروايا المزاد الطبع .والكوفيون يجيزون في مثل هذا إضافة الموصوف إلى صفته وذلك عندنا خطأ ."[30] وكأني بالسيد البطليويسي يشير إلى حضور المدرستين النحويتين المشرقيتن في النقد اللغوي الأندلسي ، وإذا لم يكن يعني البطليوسي مدرسة البصرة ،فإنه لامحالة يلمِّح إلى تيار أندلسي مغربي بدأ تتشكل نواته له رؤيته الخاصة لقضايا مختلفة في علوم النحو والتصريف والبلاغة . ولم يترك لغويو الأندلس الشعر المحدث دون أن يسجلوا عليه اعتراضاتهم التركيبية والموسيقية ،بل إن ما قدموه في هذا المجال بشي بنضج الحس النقدي ،وارتقاء في الذوق الأدبي .ففي تخريج لغوي بديع يقيم ابن سيده( ) قولا شعريا للمتنبي جاء فيه :

يُباعِدْنَ حِبًّا يجتَمِعْن ووَصْلُهُ فكيف بِحِبٍّ يجْتمِعنَ وصَدُّهُ

فيقول ابن سيده معقبا :" وعَطْفُ (وصدُّه) على المضمر في (يجْتمعن)، ولو كان الروي منصوبا لكان (وصده) هو الأجود على المفعول معه ، ولو أسعده الوزن بتأكيد الضمير فقال : هي ، لكان الرفع لا ضرورة فيه ، ولو أنه أكد وكان الروي منصوبا لكان النصب حسنا ."[31] ورغم تلك الضوابط الصارمة التي أقامها الأندلسيون والمتمثلة في ضرورة وضع الشعر الموضع الذي يرتضيه النحو ،فإنهم أشاروا كذلك إلى عدم الغلو في الصناعة النحوية التي من شأنها أن تخل بالمعنى ،ولذلك لا يروق البطليوسي كلام هو أشبه بالهذيان منه إلى القول الفني رغم تقيده بالإعراب فيقول معقبا :"ونحن نقول لولا عدم التوفيق لما فاه بهذا القول الذي هو هذيان محمول لأنه قول من يُعنى بالإعراب ولا يفكر فيما يُفضي إليه المعنى من خطإ أو صواب ."[32] فالعناية بالشكل يجب أن توازيها عناية بالمضمون والمعنى في رأي البطليوسي .

وفي تناوله لبيت المتنبي الذي يقول فيه :

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فزعتُ فيه بآمالي إلى الكذِب

يشير ابن سيده إلى مسألة نحوية لها علاقة بالبعد الدلالي للمقول الشعري ،ويفضي إلى إثبات الوصف أونفيه ،ويستحضر في هذا النقاش قولين للمدرستين الشعيرتين : البصرة والكوفة ، ويعرض وجهة نظرهما في المسألة المعروضة يؤكد ابن سيده شارحا أن كلمة "خبر " مرفوع على مذهب البصريين ب (جاءني)لأنهم يعملون أقرب الفعلين ، وأما على مذهب الكوفيين فيرفع كلمة (خبر)على أنه فاعل يطوي ، لأنه يعملون أسبق الفعلين ،ويقف ابن سيده مع رأي البصريين ويضيف أن النكرة التي هي (خبر) على ذلك القول موصوفة بجملة (فزعت فيه بآمالي) وعلى القول الثاني ليس للنكرة وصف[33].

هذه المناقشات الواسعة التي أغنت الملمح النقدي الأندلسي ،ستؤثر في موقف الأدباء النقاد من الشعر القديم ،وقد رأى أكثر من ناقد قصور بعض النماذج الشعرية القديمة عن الوصف الدقيق والتصوير الصحيح لاقصورها في اختيار المعجم المعبر , من ذلك تعقيب الأعلم الشنتمري على بيت علقمة الذي يقول فيه واصفا انتظام سرب الوحوش :

فبينا تمارينا وعقد عِذاره خرجن علينا كالجمان المثقّب

فقال الشنتمري " ولولا ذلك لكان وصفه الجمان دون تثقيب أتم وأحسن ".[34] فالناقد هاهنا يلحظ قصورا في الصورة الفنية التي رسمتها صيغ البيت المعجمية ،ولو اختار الشاعر ما تفضل به الشنتمري، من إطار تصويري جديد للمعنى ،لكان أحسن وأجود ،في نظر الناقد.

وبالأسلوب نفسه يقرأ الشنتمري شعر علقمة الفحل ،ويسجل عليه خللا في التناسق المعجمي لمفردات الشاهد الشعري ، مما أربك انسجام عناصر البيت وأثر ذلك على المعنى ،لأن الشاعر قد رعى التناسق الموسيقي للشاهد وغاض الطرف عن المستوى المعجمي.ففي بيتين شعريين يقول علقمة :

هداني إليك الفرقدان و لا حب له فوق أَصَواء المتان علوبُ

بها جيف الحسرى فأما عظامها فبيض وأما جلدها فصليب

يقول الشنتمري ناقدا :"كان وجه الكلام أن يقول جلودها فلم يمكنه ،فاجتزأ بالواحد عن الجمع لأنه لا يشكل "[35].

إحالات البحث

1) مصطفى عليان عبد الرحيم :تيارات النقد الأدبي الأندلسي في القرن الخامس الهجري ص121 ط2 –1976– بيروت .
2) إحسان عباس :تاريخ النقد الأدبي عند العرب – نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري – ص470 ط5 –1986دار الثقافة –بيروت لبنان
3) المرجع السابق ص471 .
4) مصطفى عليان عبد الرحيم :تيارات النقد الأدبي الأندلسي في القرن الخامس الهجري ص50.
5) ابن سعيد الأندلسي (علي بن موسى):المغرب في حلى المغرب تحقيق شوقي ضيف ج 1ص 324،325 دار المعارف 1986.القاهرة
6) الحميدي(أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح الأندلسي) :جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ص349 تحقيق لجنة إحياء التراث – دار الكاتب العربي 1967 –القاهرة
7) مصطفى عليان عبد الرحيم :تيارات النقد الأدبي الأندلسي في القرن الخامس الهجري ص91.
8) المرجع السابق ص71 –.
9) ابن عبد ربه (أحمد بن محمد الأندلسي) :العقد الفريد ج5ص368 تحقيق مفيد محمد قميحة – دار الكتب العلمية– ط1– 1983– بيروت .
10) إحسان عباس :تاريخ النقد الأدبي عند العرب – نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري – ص471.
11) مصطفى عليان عبد الرحيم :تيارات النقد الأدبي الأندلسي في القرن الخامس الهجري 121 .
12) عبد الرحمن عثمان :معالم النقد الأدبي ص 145 دار الكتب المصرية .– القاهرة – 1978
13) زيدان طارق جاسم حسين الجنابي: ابن شُهيد الأندلسي ناقدا –ص14–15 رسالة تقدم بها إلى مجلس كلية اللغة العربية

وعلوم القرآن / الجامعة الإسلامية وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها –كلية اللغة العربية وعلوم القرآن – 2006 بغداد.

14) إحسان عباس النقد الأدبي في الأندلس – مجلة الأبحاث:516/4 دار الكتاب بيروت لبنان 1959.

15) عبد الله سالم المعطاني :ابن شهيد الأندلسي وجهوده في النقد الأدبي ص2 – رسالة ماجستير – قسم الدراسات العليا العربية – فرع الآداب – مكة المكرمة 1977 .

16) محمد مرتاض : النقد الأدبيّ القديم في المغرب العربيّ – نشأته وتطوره – (دراسة وتطبيق) ص148 – منشورات اتحاد الكتاب – دمشق – سوريا 2000

17) بن بسَّام(أبو الحسن علي، التغلبي، الشنتريني): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ج1 ص 234 تحقيق إحسان عباس – دار الثقافة –1997– بيروت.

18) زكي مبارك :النثر الفني في القرن الرابع : 2ج ص61 .مطبعة دار الكتب المصرية – ط 1 – القاهرة 1934.

19) إحسان عباس :النقد الأدبي في الأندلس مجلة الأبحاث، دار الكتاب ، بيروت ، لبنان ،العدد12، 1959.

20) محمد رضوان الداية : تاريخ النقد الأدبي في الأندلس ص 296 ط1 ، دار الأنوار ، بيروت لبنان ، 1968.

21) ابن شهيد الأندلسي (أبو عامر أحمد بن عبد الملك الأشجعي) : رسالة التوابع والزوابع ص139.صححها وحقق ما فيها وبوبها وصدرها بدراسة تاريخية أدبية بطرس البستاني –دار صادر للطباعة والنشر ط2 –1996 – بيروت – لبنان .

22) بطرس البستاني :أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث ص 205 دار مارون عبود ، لبنان – د ت

23) –أنظر أبو محمد عبد الله بن محمدبن سعيد بن سنان الخفاجي): سرالفصاحة ص 192 دار الكتب العلمية ط1– 1982– بيروت

24) ابن السيد البطليوسي :شروح سقط الزند ج 1ص 399 .تحقيق مصطفى السقا ، عبد السلام هارون ،إبراهيم الابياري – طبعة الدار القومية للطباعة والنشر 1987.

25) ابن سيده (علي بن إسماعيل)شرح مشكَل شعر المتنبي ص235 . تحقيق محمد رضوان الداية – طبعة دار المأمون – 1975 – دمشق

26) مصطفى عليان عبد الرحيم :تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري ص123 .مؤسسة الرسالة ط2 –1986 _ بيروت .

27) الأعلم الشنتمري :شعر زهير ص63 تحقيق فخر الدين قباوة طبعة حلب 1970 .

28) انظر ا بن السيد البطليوسي:الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ص321 تحقيق عبد الله البستاني دار الجيل 1973 بيروت

29) ابن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ج1 ص98.

30) ابن السيد البطليوسي الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ص384 تحقيق مصطفى السقا وحامد عبد المجيد ط2 مطابع دار الشؤون الثقافية العامة 1990 بغداد .

31) ابن سيده : شرح مشكل شعر المتنبي ص284.

32) ابن السيد البطليوسي (أبو محمد) :المسائل والأجوبة ص145 تحقيق إبراهيم السا مرائي 1965بغداد .

33) انظر ابن سيده (أبو الحسن علي) : شرح مشكل شعر المتنبي ص272

34) الأعلم الشنتمري :شرح ديوان علقمة ص 104 تحقيق الشيخ بن أبي شنب طبعة الجزائر .د .ت .

35) المصدر السابق ص 27 .

_* ساتيدما : جبل متصل من بحر الروم إلى بحر الهند .

❋❋❋